فيها دفء قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ بقوله لكم فيها دفء
والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان منافع الانعام منها
ضرورية ومنها غير ضرورية بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفا
به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ومنافع يعني
النسل والدر والركوب والحمل عليها وساير ما ينتفع به من الانعام ومنها تاكلون يعني من لحومها فان
قلت قوله ومنها تاكلون عليها الحصر لان تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يوكل من غيرها
قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها كالبط
والدجاج والاوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب واكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تاكلون
مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة الاكل مقدمة على منفعة اللباس
قلت منفعة اللباس اكثر واعظم من الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى ولكم فيها يعني في
الانعام جمال اي زينة حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه
بالليل ويقال سرح القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغدوة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما تكون هذه
الراحة ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما يكون النعم
في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض صاحب المواشي بل هو من معظمها
لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى الافنية والبيوت يسمع للابل رغاء وللشاء
ثغاء يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها ويتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس
فان قلت لم قدم الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة وهو
رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل من المرعى ملاء البطون حافلة الضروع فيفرح
اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج جايعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق
والانتشار للرعي في البرية فيثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه
وقوله تعالى وتحمل اثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج اليه من الات السفر الى
بلد يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه
خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام فدخل
فيه الكافة من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه
الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشي والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه
الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرءوف رحيم يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه
المنافع قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه
الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنسا وزينة يعني
وجعلها زينة مع المنافع التي فيها فصل احتج بهذه الاية من يرى تحريم لحم الخيل وهو قول ابن عباس
وتلا هذه الاية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة رحمهم الله واستدلوا ايضا بان منفعة
الاكل اعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله علمنا تحريم اكله فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى
بالذكر لان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها
مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وهو قول شريح

وعطا

وعطاء وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسما بنت
ابي بكر الصديق انها قالت نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش
ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية ابي داود وقال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمار وكنا
قد اصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب عن اباحة
لحوم الخيل عن هذه الاية فان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص هذان
المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله في الانعام
وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا تحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الاية بيان التحليل والتحريم
بل المراد تعريف الله تعالى عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم
الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان
الاكل مسكوتا عنه دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير
اخذنا بهما جميعا بين النصين والله اعلم قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها
الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفاصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الانسان في الغالب على سبيل
الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون السوس في النبات والدود في الفواكه
قوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد اذا ادى الى مطلوبه
وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان
طريق الحق بالايات والبراهين ومنها جائر يعني من السبيل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج بالقصد من
السبيل هو دين الاسلام والجائر منها اليهودية والنصرانية وساير ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان
الشرايع والفرايض ومنها جائر الاهواء والبدع ولو شاء لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى لو شاء هداية
الكفار وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشي لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم اجمعين وذلك
يفيد ان الله تعالى ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم قوله عز وجل هو الذي انزل من السماء ماء لما ذكر الله نعمه
على عباده بخلق الحيوانات لاجل الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السماء وهو من اعظم النعم على عباده
فقال وهو الذي انزل يعني والله الذي خلق جميع الاشياء هو الذي انزل من السماء ماء يعني المطر لكم منه يعني من ذلك
الماء شراب يعني تشربونه ومنه يعني من ذلك الماء شجر الشجر في اللغة ما له ساق من نبات الارض ونقل الواحدي
عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى واما ورق الشجر فنصف ان احدهما يبقى
له ارومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال ابو اسحاق كل ما ينبت
على الارض فهو شجر وانشد يطعمها اللحم اذا عز الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال
ابن قتيبة في هذه الاية انه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل ترعى كل الشجر
فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السائمة اذا خليتها ترعى وسامت اذا رعت
حيث شاءت ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقري ننبت على التعظيم لكم به اي بذلك الماء الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)